حياة الشهيد صبري محمد مصطفى

صبري محمد مصطفى اسم عادي نلقاه كثيرا بين الأسماء وفي الجرائد والتلفاز ولكنه يبدو اسما مميزا بين الآلاف الأسماء عندما نراه ملحقا بكلمة الشهيد...اسم ثقيل حقا...فيا ترى من يكون صاحب هذا الاسم...هو ذلك الأبي الذي جلب لأبيه لقبا يحلم به كل أب لينادى به الجميع أب الشهيد ولنعرف ما رسمته الأيام في حياة هذا الشخص الكريم علينا إن نسأل الحزن العميق الذي جلبه لإزهار وعصافير وجبال ووديان عفرين لرحيله إلى جنات الله الواسعة وفي وقت صعب جدا وزمن عصيب استطاعت امراءة أن تحمل بين أحشائها ذلك البطل الذي نحتاج إليه في هذه اللحظات الغالية . ولد صبري في بلدة جند يرس عام 1973 في أحضان عفرين الحبيبة وبدا مستقبل هذا الطفل الصغير ظاهرا للعيان حينما كان يهوى اللعب بالأسلحة التقليدية للأطفال وفي التخطيط ليربح في اللعبة التي رافقته إلى أخر لحظات من عمره ودارت عقارب الساعة إلى أن جلس صبري على المقاعد الخشبية في المدرسة الريفية التابعة لناحية جند يرس متمسكا بقلمه معانقا حقيبته المدرسية لتسافر معه إلى عالم الخيال وبلاد الأحلام فربما كان يرى من خلال السطور طريقة إلى ما يشبه الكمال ودرس صبري بجد وقد كان متفوقا في دراسته حاز على الشهادة الابتدائية وهو في الثانية عشرة من عمره ولكن نير الفقر وضعت على كتفيه الناعمتين فاضطر صبري إلى ترك مقعده واحدة للغبار والذكريات القاسية ووضع قلمه في حقيبته وتركها إلى جانب الذكريات وحمل المسكين بيده وراح يعمل قصابا ليتعامل مع لون الدماء لأول مرة في حياته . قضى صبري عدة أعوام في هزه المهنة يخدم أهل بلدته بحب وإخلاص ووفاء مقبلا على الحياة بروح عالية متفائلة إلى جانب ما كان يعانيه من الظروف المعيشية الصعبة كان يواجه الضغوط والاستفزاز والكره من قبل أول الأقارب ألا وهو عمه الذي كان يغار منه إلى درجة الحسد على أخلاق ابن أخيه العالية فقد كان يلجا إلى خلق النزاع بين صبري وعائلته بالضغط على أخيه الكبير وكذلك على أبيه . حياة لاتحسد عليه ...من ابن كنت تتزود بالتفاؤل وروح الإبداع إلى جانب هزا المحيط الذي كان يجرك إلى عالم الإحباط انضم صبري إلى حزب العمال الكردستاني في حوالي عام 1986 وقد قضى أشقى أنواع العذاب والمرارة في هذه السنين الذي كان يتعامل فيه مع حزب العمال أولا. لعدم موافقة أبيه

على هذا التعامل وعدم موافقة أخيه الكبير نضال وطبعا بتحريض من العم . كان صبري ورغم هذه المعارضات وسوء الأحوال السياسية والأمنية إلى جانب الأحوال المعيشية الصعبة يحضر الناس إلى منزله المتواضع لإعطائهم الخيار الكردية وما يتعلق بها بمساعدة من الحزب . هذه هي صفحات رزنامة هذا الشاب ولكن لو دخلنا إلى أعماق السطور وخبايا النفس وإسرار القلوب وبحثنا في دواوين العشق والحب والغرام فكان يختصر كل هذه اللغات بجملة مختصرة , انه يرد الزواج من فتاة كردية من كردستان تركيا بعد تحريره من أيد الغاصبين كان يردد هذه العبارة دائما على مسامع أمه التي كانت دائما مخبئا لإسراره وسندا له . خرج صبري إلى السهول والوديان والينابيع ليودع زهور وتراب وعصافير عفرين ويقول لها إني قادم حاملا بيدي راية الوطن واحمل على ظهري حقيبتي التي تركتها على مقعدي الخشبي مملوءة بكتب الحرية والتحرير إني قادم يا عفرين محضرا معي الأيام السعيدة إني قادم يا وطني . فترك الأهل والجيران والأراضي التي أحضنته لسنوات عديدة تاركا وراءه الذكريات وأيام الطفلة . حاسدك حقا يا صبري على الشجاعة التي كنت تمتلكها وعلى الإرادة التي مشت بك إلى دروب النضال وعلى الإيمان الراسخ لديك فان النصر قريب قريب , دخل صبري شوارع بيروت الخيالية وما تمتلكها تلك الشوارع من قوة يجبر الإنسان على ترك كل المشاكل والهموم والقضايا الوطنية ليلتفت إلى جمال الدنيا وسعادتها والركود في أحضان الملذات المغرية , ولكن الاتسان الذي تجاوز كل المصاعب متجها إلى ما يشبه الكمال وقطع الوعد لتراب عفرين تاركا وراءه قلب أمه وأحضانها التي ربته والعيون التي سهرت ليالي كثيرة عليه والشقاء والتعب الذي لقبته أمه إلى أن جعله شابا يملك كل معاني الرجولة لن تجبره قوة كهذه القوة إن يبعده عن طريق النضال والثورة ضد الطامعين والظلام . عمل صبري لمدة ثلاثة أعوام في صفوف الحزب بين المجتمع المدني الكردي المتواجد في بيروت ينشر أهداف الحزب وأفكار القائد ويعمل على لم الشمل الكردي ولم أفكارهم ليرسخه نحو أهدافهم الوطنية ضد كل الأفكار الرجعية التي تحاول محو الشعب الكردي وثقافته وتاريخه المشرف . وخلال تدريبه العسكري في معسكرات حزب العمال الكردستاني في بيروت زارته أمه وقد كان ذلك أخر لقاء بينهما غير اللقاء الذي حضرته أمه في وداع ابنه الكبير نضال محمد مصطفى الذي لحق أيضا بصفوف الحزب العمال الكردستاني قبل زيارته لصبري , فما ارق قلب الأم وما أقواها في إرسال شابين من أولادها الابن اكبر والأصغر منه فداء لكردستان . حضر صبري أخر عيد لنوروز في المجتمع المدني وقد علمت أسرته بهذا الأمر دون إن يره وقبل سبعة أيام من انطلاقه إلى جبال كردستان الشاهقة أرسل رسالة إلى أسرته يستودع فيه كل ذرة من تراب عفرين ويستودع والدته ووالده وكذلك إخوته منطلقا نحو الجبال بروح صلبة عالية

وإيمان راسخ وعقيدة قوية وعزيمة صلبة وقد ظل يقاتل في صفوف الحزب لمدة عام واحد باحثا عن ما يروي ظمأ الشعب الكردي المتعطش إلى الحرية ...باحثا عن الإنسانية التي فقدت معناها في بلاد الظالمين وفي عام 1993 تزوج صبري من تلك الفتاة الكردية التي كانت دائما زائرة لأحلامه , ساكنة في قلبه فتاة جميلة جدا تمناها مئات ت الشباب الذين تركوا خلفهم أحضان أمهاتهم الذين تركو خلفهم نساؤهم وأولادهم وإخوتهم وإبائهم بيوتهم وأملاكهم باحثين عن تلك الفتاة المقيدة في سجون الأعداء وبين أيدي الطامعين فراحت دمائه تجري على صدر تلك الفتاة البيضاء وتلونه بلون الحرية الحمراء ذلك اللون الذي اختاره الشباب بان يكون مهرا غاليا لثرى الوطن وترابه . انضم صبري إلى قافلة الشهداء وترك بندقيته كالآلاف على صدر حبيبته التي مازالت قصيدة في سجون الأعداء .....؟